

الهوآرخون الدمشقيون

على عهد الناصر محمد بن قلاوون

عبد علي الطويل

تمهيد

بعد أن وطّد الناصر محمد بن قلاوون، حكمه، الذي انتزع منه ثلاث مرات، خلال سبع عشرة سنة، كان انشاءها لا يزال فتيّاً طري العود، عن طريق القضاء على كافة عناصر التآمر المتمثلة بالأمراء الطامعين إلى العرش والسلطان، وطرّد المغول إلى الضفة الأخرى لنهر الفرات. استقرّت الأوضاع في كافة أرجاء السلطنة المملوكية، بحيث تحوّل الحكم إلى تركيز سلطته المركزية. وذلك بتكملة بناء أجهزة الدولة، إن كان على صعيد الجيش، أو الإدارات الرسمية، أو تنظيم الضرائب، أو تأسيس البنى الاقتصادية (التحتية)، وتشجيع الحركة العلمية التي عرفت درجة من العطاء تمثلت بإنتاج وفير في مختلف علوم ذلك العصر. وإن كان الناصر قد قدّم الكثير في المجالات التي عدّناها، وإن كان الاستقرار السياسي الذي عرفه عهده - منذ اعتلائه العرش للمرة الثالثة سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩ م والذي استمرّ حتى سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠ م - قد سمح بهذا الفيض من الإنتاج في كافة الميادين الثقافية، فإنّ ذلك لم يكن نتيجة لعطاء الناصر أو للاستقرار السياسي الذي عرفه عهده وحسب، وإنّما كان تنويحاً لما اختزن أو بُني في الماضي بشكل تصاعدي، منذ الدولة الزنكية مروراً بالدولة الأيوبية ووصولاً للدولة المملوكية، من المؤسسات الثقافية التي كان عمادها المدارس والجوامع ودور الحديث والمكتبات والبيمارستانات وغيرها للعب دور، حدّد منذ البداية، يتلخص بتعبئة اجتماعية عامة من خلال الدعوة إلى الجهاد المقدّس، لتحرير الأراضي الإسلامية من الاحتلال الصليبي، الذي دام سنوات طويلة، إلى جانب إزالة المدّ الشيعي الذي

تغلغل في بلاد الشام أيام الدولة الفاطمية (التي قضى عليها صلاح الدين) واستئصال ما أمكن من جذوره، وللقضاء على الحركات الدينية المناوئة المنتشرة في الجبال الساحلية (النُصيرية)، وخاصة تلك المنتشرة في الشمال السوري (الحشاشون) بما تمثله من إرهاب تمثل باغتيالات طالت كافة قيادات الأطراف السياسية المتنازعة.

هذا الدور السياسي - الديني، الذي حُدّد سلفاً للمؤسسات الثقافية بهدف تركيز وتثبيت سلطة الدولة السنية بمذاهبها الفقهية الأربعة (الشافعية - الحنفية - الحنبلية - المالكية)، استتبع حالات من الانغلاق والتعصّب والتراجع الفكري طوال فترات النضال التحريري^(١)، تمثّل بانعداء المستحکم للفكر الشيعي بعد اتهامه بمالأة الصليبيين، وتحالفه معهم، وبعدها طائفي اقتضى ارتكاب مجازر جماعية بحق المسيحيين الذين اتُهموا بالتعاون الكامل مع الصليبيين.

ومع وصول جحافل المغول إلى بلاد الشام، الذين استطاعوا القضاء دون كبير عناء على الدولة العباسية المقطعة الأوصال سنة ١٢٥٦ م. أخذ هذا الانغلاق والتعصّب يزداد ويتفاقم نتيجةً لتصاعد الصراع وازدياد حجمه بعد أن أصبح مثلث الجوانب، بحيث تمثّل بالتمسك المطلق بالدولة السنية لتعزيز مكانتها وتثبيت سلطتها المركزية بعد أن استحدثت هذه الأخيرة وسائل هذا التمسك. فإلى جانب الهبات والأعطيات التي كان يقدمها الأمراء والسلاطين لرجال الدين والعلم، استحدثت وسائل الربط المباشرة التي تمثّلت بالوظائف والمراكز الإدارية والقضائية والتعليمية إلى جانب مشيخة الجوامع ورئاسة دور الحديث أو البيمارستانات أو الزوايا أو غيرها من الوظائف التي نمت مع نمو الدولة وتعاظم شأنها، وبالأخصّ أيام الدولتين الزنكية والأيوبيّة، والتي كانت تُعطى لصاحبها بموجب عهد من قاضي القضاة، أو نائب السلطنة، أو مباشرة من السلطان بعد إمعان النظر في ذلك.

نتج عن هذا التمسك المتبادل، بين العلماء والسلطة، حركة ثقافية نشطة قامت أولاً في دمشق (صاحبة فكرة الانبعاث الإسلامي وقائده في حروبه التحريرية)، ثم ما لبثت أن امتدت إلى أكثر المدن الإسلامية (حلب، حمص)، لتستقر فيما بعد في القاهرة عاصمة الدولة المملوكية آنذاك. ولما كانت هذه الحركة الثقافية قد أنتجت، منذ النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي، رواداً في كتابة التاريخ أمثال: أسامة بن منقذ، وابن القلانسي، وعماد الدين الأصفهاني وابن واصل؛ وكتاباً موسوعيين في حقل الفقه أمثال النووي؛ ورواداً في التراجم أمثال ابن خلكان؛ فإنها قد طبعت منذ البداية بعدائها للفلسفة وللمشتغلين بها تعليماً وتعليماً، فأعدم السهروردي، في حلب سنة ٥٨٧ للهجرة، وعمره لا يتعدى الـ ٣٦ سنة، وعمّم ابن الصلاح (ت ٦٤٣ هـ) جوابه حين سُئل فيمن يشتغل بكتب ابن سينا إذ قال: «من فعل ذلك فقد غدر بركبه»^(*) وتعرض للفتنة العظمى، لأن ابن سينا لم يكن من العلماء، بل كان شيطاناً من شياطين الأنس^(٢). ولم يكد يطلّ القرن الرابع عشر، إلّا وكان هذا التماسك قد

(★) بمعنى صحبه أو جماعته.

بلغ حدّه الفعلي باتحاد واضح بين رجال الدين والعلم (الذين كانوا يلعبون دور مروجي أفكار السلطة السياسية ووسيلة إعلامها بين الناس ودعائها وحاملي لواء سلاطينها) والسلطة العسكرية الجديدة (المكوّنة من المالك فقط). فانعكس هذا الاتحاد على الحياة الثقافية بحيث لم يأت الإنتاج الثقافي خارجاً عن هذا الإطار إلّا في النادر، ومصحوباً بحالات من القمع عند أبسط محاولات التجديد. ولئن شجّع هذا التحالف الحركة الثقافية، فإن تشجيعه لها كان يأتي محصوراً ضمن آفاق الإنتاج الأدبي والديني الذي ينهل من الماضي دون أية محاولة للمساحات بكامل الموروثات. ولذلك لم يتورع هذا الاتحاد عن اضطهاد رجل صالح مؤمن بالله أصدق الإيمان وأشدّه (ابن تيمية) لإحجائه عن مجاراة المتحالفين في جميع ما ذهبوا إليه من رأي، ولمقاومته كثيراً من مظاهر التدنّي لدى العامة كعبادة الرسل والأولياء^(٣).

ولئن أنتجت في هذا العصر الآلاف من المجلدات في أكثر المجالات من أدبية وتاريخية وجغرافية وفقهية وطبية وغيرها من العلوم التي كانت شائعة في ذلك الزمن، فإن أكثر تلك المؤلفات جاءت خالية من الابتكارات الفعلية التي تساعد على إنتاج أنماط تطويرية تنعكس فيما بعد على حالة من التنامي الاجتماعي. ولئن عرف الإسلام من قبل أنماطاً من التفكير الفلسفي أضاعت طريقه في إنتاج علاقات اجتماعية أكثر استحداثاً، فإن هذا العصر جاء خالياً من الفلسفة إلّا في نهايته حين أنتج ابن خلدون تاريخه ووضع مقدمته في مجلد خاص، فتح آفاقاً في التفكير، لم تُستكمل فيما بعد. أكثر من ذلك، كان هذا العصر مناهضاً ليس للفلسفة فحسب بل للكيمياء أيضاً. فهذا ابن تيمية صاحب فكرة التجديد في الإسلام، إلى جانب ردوده الواسعة على الفلاسفة وتحريم العمل في الفلسفة، يصدر كتاباً تحت عنوان «إبطال الكيمياء. وتحريمها. ولو صحّت وراجت»^(٤). وهذا الذهبي يعلن بمجاهرة عداوته للكيمياء، إذ يقول عن شيخه وصاحبه علي بن أحمد الواسطي «صاحبنا كان يدخل في الكيمياء والهديان»^(٥) وأكثر من ذلك، فإنه يُصدر فتوى جائرة بحق المشتغلين بالفلسفة إذ يقول: «إن الفلسفة الإلهية، ما ينظر فيها من يُرجى خلاصه، ولا يركن إلى اعتقادها من يلوح نجاحه علماً وعملاً فإنّ هذا العلم في شق، وما جاءت به الرسل في شق. وما وراء هذه العلوم وعلماؤها القائلين بها إلّا التحريق والإعدام من الوجود فلو أعدمنا لكان فتحاً مبيناً»^(٦).

ومع أن الإنتاج التاريخي قد أصاب شيئاً من التطور، من بعض نواحيه، وبالرغم من غزارته، بحيث أنتج في دمشق وحدها، مئات من المصنفات التاريخية، فإن عيوباً كثيرة لحقت بهذا الإنتاج. (سنتكلم عنها لاحقاً) على أنّه يجدر بنا، قبل استعراض بعضها، إضافة إلى مؤرخيها، أن نسجّل سمتين ظهرت في هذا العصر: الأولى تمثّلت في هذا التحوّل الكبير نحو التراجم. وأمّا الثانية، ففي ظهور تلك المصنفات التاريخية والجغرافية الهامة.

المؤرخون الدمشقيون على عهد الناصر محمد بن قلاوون - (القرن الرابع عشر الميلادي) -

يمكننا تصنيف الكتب التاريخية التي أنتجت في هذا العصر إلى ثلاثة أنواع، هي

١ - كتب التاريخ العام .

٢ - كتب التراجم .

٣ - الموسوعات التاريخية والجغرافية، ويدخل ضمنها الكتب التي لم تُنتج تحت اسم التاريخ، ولم يُعرف عن أصحابها عملهم في التاريخ، في عُرف ذلك الزمن، إنها يمكننا من وجهة نظرنا المعاصرة، اعتبارها تحمل مادة تاريخية لاشتغالها على أمور كثيرة تُسلط الأضواء على ذلك العصر .

سأحاول ضمن هذا التصنيف إيراد المؤرخين الدمشقيين الذين أنتجوا في ذلك العهد، كلّ في المجال الذي أنتج فيه، متوخياً الإيجاز، قدر الإمكان، ومُركّزاً على السمات العامة التي تطبع إنتاج كل مؤرخ، ومُلحقاً هذا العمل البسيط بمجدول يُلقى أضواءً ضرورية يُستار بها للكشف على حياة وإنتاج كل مؤرخ .

١ - كتب التاريخ العام

لقد قام علم التاريخ الإسلامي منذ البداية انطلاقاً من فكرة تدوين السنة (الرواية الشفوية بما تحمله من أقوال منسوبة لمن صحب أو رأى النبي)^(٧)، والأحاديث النبوية . هذه المهمة الدينية وسمته بطابعها منذ البداية، فالتصق بشكل عام بالعلوم الدينية لينمو ويتطور مع نموها وتطورها، وليقوم عبر هذا التطور بمهام دينية أساسها الحفاظ على الذكريات الهامة والبارزة من تاريخ الشعوب الإسلامية، لتدعيم وتشيت الوعي الديني، ومُثل الإسلام في نفوس المسلمين .

ولم يكد يطلّ القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) إلّا وكان هذا العلم قد اتّسم بسمات عامة، ظهرت في ذلك التحوّل من التاريخ العالمي إلى التاريخ الإسلامي الخالص، حين أخذ المؤرخون منذ بداية هذا العصر (نتيجة غلبة الاهتمام الديني، حين هُدّدت الهوية الإسلامية بالانقراض)، بكتابة التاريخ ابتداءً من حياة النبي محمد (ص) ومصحوباً باستعراض سريع وموجز للتاريخ السابق للنبوة . وذلك من وجهة نظر إسلامية خالصة . وقد حافظ التاريخ العام على سياقه السابق، فبقي حولياً (حسب السنين)، ولم يستفد كثيراً من محاولات التجديد السابقة، المتمثلة بآبن مسكويه، وآبن الأثير اللذين حاولا كتابة المادة التاريخية ضمن نسق من الحفاظ على ترابط الحدث الواحد دون الوقوع في هوة السرد السنوي (علماً بأنها كتباً تواريخاً حولية) الذي يُقطع أوصال الأحداث، بعد أن يجعل منها تنفّاً متفرقة بين أحشاء المجلدات الضخمة، بحيث يقع المؤرخ ضمن عملية من الكتابة تُضَيّع عليه إمكانات الاستفادة من التواريخ التي يكتبها، فتصبح مهمته عمليات سرد مطولة للماضي، لا

تبتغي غير التأكيد الدائم على الدين الإسلامي، إلى جانب ذلك، وقع هؤلاء المؤرخون في السطحية، التي تجلّت في النقل الميكانيكي من المصادر التاريخية، مفضلين الكمية على النوعية^(٨)، وفي لعبة السلطة حيث كرّسوا كافة كتاباتهم المعاصرة لتدوين سير الحكام: من وصف شجاعتهم وأخلاقهم وقصورهم، إلى وصف حروبهم أو منجزاتهم العمرانية والثقافية، دون الاقتراب من الفئات الاجتماعية الأخرى ومشاكل حياتهم اليومية، إلّا فيما ندر، حيث يروي المؤرخ بشكل دوري بعضاً من الأحداث الصغيرة التي تطل الفئات السياسية المناوئة، أو حين يستعرض بشيء من الاقتضاب بعض الأخبار التي تشير لبعض الجوانب الحياتية أو الاجتماعية أو الاقتصادية. وغنيّ عن الذكر ما قدمته تلك المؤلفات من عظيم الفائدة والنفع من خلال تدوينها المتسلسل للمناصب التي توليت على صعيد المدارس والجوامع ودور الحديث والبيارستانات، إلى جانب التعريف المقتضب بالمكتبات الموجودة وتعداد بعض محتوياتها من الكتب التي فقد معظمها، إضافةً للاستعراض ذي الفائدة الملحوظة للعلاقات القائمة بين فئات مثقفي ذلك الزمن - بتقاربهم وخلافاتهم ودسائسهم.

وقد عرف هذا العصر، بشكل بارز، المختصرات التاريخية التي كانت، كما يبدو، إفرازاً طبيعياً لحاجات تعليمية، فقامت هذه المختصرات على إيراد خبر واحد في السنة، مع ذكر التطورات الدينية بما في ذلك ما يتعلق بالنصارى واليهود، وذكر الشخصيات البارزة، والولادات الغريبة، والزلازل والأمراض وغيرها من الأمور الهامة^(٩).

وأشهر من عمل في هذا الحقل، نذكر الذهبي الذي لم يقتصر على إختصار كتبه (اختصر «تاريخ الإسلام» بـ «دول الإسلام») فحسب، بل تناول عمله هذا اختصاراً ما استوقفه من كتب غيره، وابن الوردي الذي اختصر «المختصر في أخبار البشر». لأبي الفداء وذيل عليه.

أما أبرز من كتب في التاريخ العام: الذهبي^(١٠)، والبرزالي^(١١)، وأبو الفداء^(١٢)، ومحمد بن ابراهيم الجزري^(١٣)، واليوني^(١٤)، وابن شاكر^(١٥)، وابن كثير^(١٦). ومن أهم المؤلفات سنعرض واحداً لكل منهم:

أ - تاريخ الإسلام للذهبي

يُعتبر الذهبي من القلائل الذين نالوا شهرة واسعة. فقد لخصّ وجع واستخلص وتيسّط^(١٧). نقل الآثار الإسلامية السالفة، فأودعها تأليفه، بعد ذكر الأسانيد، أو المصدر الذي أخذ عنه. ويُعدّ كتابه هذا من أضخم الكتب التي وصلتنا من ذلك الزمن. فهو ليس بتاريخ عام فقط، إذ ينقسم إلى قسمين واضحين، فمن جهة هو تاريخ عام، ومن جهة أخرى هو كتاب تراجم. استهله بسيرة الرسول، ثم انتقل إلى سرد الحوادث والوفيات حتى سنة ٧٠٠ للهجرة. وقد اعتمد في ترتيبه على الطبقات: فجعل كل طبقة عشر سنوات، يذكر في كل طبقة الحوادث مرتبة بحسب تسلسلها الزمني، سنة إثر سنة، مع ذكر الوفيات في كل سنة بشكل مُختصر ليعود بعد انتهاء العشر

سنوات لذكر تراجم الذين توفوا، بعد التنويه المقتضب الذي جاء في ذكر كل سنة. وبهذا يتكون هذا المصنف من سبعين طبقة، جعله في واحدٍ وعشرين مجلداً^(١٨).

وقد استمد الذهبي تاريخه هذا من التواريخ التي سبقته أو عاصره مؤلفوها، وأضاف إليه ما كان في عصره من أحداث ووفيات، وهو إذ يذكر في المقدمة أنه قد راجع تواريخ كثيرة، يُعدّد كتباً محدّدة استخلصها مادة لهذا التاريخ. ويجد المدقّق في تلك المصادر التي اعتمدها الذهبي عودة إلى منابع التاريخ الإسلامي - بمعنى المؤلفات التاريخية التي تمخض عنها القرن الثاني أو الثالث الهجري^(١٩)، والتي فُقدت بمجمّلها فلم نعتز لها على أثر باستثناء نذير يسير^(٢٠) مما طالعنا به كتب مؤلفين آخرين. لهذا فإن لـ «تاريخ الإسلام» أهميةً وشأناً كبيرين لاعتماده الأخذ عن الأصول الأولى.

ب - تاريخ البرزالي

لقد كشف البرزالي صفحة غامضة من تاريخ الشام ومصر والعراق. بل من تاريخ العالم الإسلامي في عصره^(٢١). وقد وصفه ابن تيمية فقال: «نقل البرزالي نقر في حجر»^(٢٢). جعل تاريخه ذيلاً على «تاريخ أبي شامة» المعروف بـ «ذيل الروضتين»، وعُرف تاريخه بـ «تاريخ البرزالي»^(٢٣). ابتدأه من عام مولده، وهي السنة التي مات فيها أبو شامة^(٢٤)، واستمرت حوادثه إلى سنة ٧٣٨ هـ / ١٣٣٦ م. استفاد منه الكثير من المؤرخين، فاختصره ابن كثير وأضاف حوادثه إلى تاريخه «البداية والنهاية». وذيل عليه أبو بكر تقي الدين ابن قاضي شعبة (ت ٨٥١ هـ / ١٤٤٧ م) في مجلدين، وتاريخ البرزالي في سبع مجلدات^(٢٥).

ج - المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء

نُورِد هذا المؤرخ ضمن هذا البحث لعدة أسباب، نذكر منها:

أ - إن هذا المؤلف درس وتعلم في دمشق. ب - كان عسكرياً دائم الترحال. ج - كان يزور دمشق بين الفينة والأخرى، ولم يستقر في حماه موطنه الأصلي إلا في سنة ٧٢١ للهجرة حين عيّنه الناصر نائباً على حماه، وذلك قبل وفاته بإحدى عشرة سنة. ويُعتبر كتابه المختصر، تاريخاً حوالياً، وقد أورد فيه ذكراً للتواريخ القديمة، وهو يتألف من مقدمة وخمسة فصول. أخذ فيه عن تاريخ «الكامل» لابن الأثير، وعن «تجارب الأمم» لابن مسكويه، وعن غيرهم^(٢٦). تحتوي المقدمة على ثلاثة أمور: الأول: في كثرة الاختلاف بين المؤرخين، والثاني في معرفة نسخ التوراة، والثالث: في معرفة جدول كان قد اقترحه، يتضمن أخبار ما بين التواريخ من المدن. استهل الفصل الأول بذكر الأنبياء، وحكام بني إسرائيل، وانتقل في الفصل الثاني إلى ذكر ملوك الفرس، أما في الفصل الثالث فقد أتى على ذكر الفراعنة وغيرهم، ليعرّج في الفصل الرابع على ملوك العرب،

ولينتهي من ذلك في الفصل الخامس بذكر أمم العالم، وقد بلغ فيه سنة ٧٢١ للهجرة.

ويُعد هذا الكتاب من أهم الكتب الزاخرة بالأخبار العسكرية، ولا غرو، فأبو الفداء كان عسكرياً شارك في الكثير من المعارك التي خاضها الناصر، إلى جانب احتوائه على معلومات تدور حول هذه الفترة، تتميز بفائدة جلية وبقيمة عظيمة، خاصة وأنها صدرت عن طريق المعاينة الشخصية لمعظم الحوادث بحيث لا تُظهر مبالغة عرفتھا الكتب الأخرى في تعرضها للكلام عن الحروب والحملات العسكرية.

د - التاريخ الكبير لابن الجوزي:

« لقد كان محباً لفن التاريخ. جمع هذا الكتاب، وذكر فيه أشياء لا توجد في غيره »^(٢٧). وقال عنه الذهبي: « في تاريخه عجائب وغرائب »^(٢٨). أما ابن كثير فقد ذهب إلى أنه « جمع تاريخاً حافلاً، كتب فيه أشياء يستفيد منها الحافظ، كالْمزي، والذهبي، والبرزالي، يكتبون عنه ويعتمدون على نقله »^(٢٩).

ويُسمى تاريخه هذا « حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه »^(٣٠). ولم يصلنا من هذا التاريخ إلا القليل. في جزأين، يتبدى الجزء الأول منه بسنة ٦٨٩ هجرية وينتهي بسنة ٦٩٩ هجرية، أما الجزء الثاني فيبتدىء بسنة ٧٢٦ هجرية وينتهي بسنة ٧٣٨ هجرية، ويعتبر هذا الأخير خير كاشف عن أيام المغول في العراق، وعن علماء بغداد^(٣١). وقد اختصر الذهبي جزءاً من هذا التاريخ. قال: « وهذه نبذة فوائد من تاريخ المولى شمس الدين. وتبتدىء سنة ٥٩٣ هـ، امتدت، فوقفت عند سنة ٦٩٨ هـ. جعله كالشئمة لما نَفَّح من المذبل على الروضتين »^(٣٢).

هـ - ذيل على مرآة الزمان لبيسط ابن الجوزي (لليوني):

« اختصر اليوني مرآة الزمان وذيل عليها ذيلًا في أربع مجلدات. وكان عارفاً بالشروط، كبير الصورة »^(٣٣)، « وكان كثير النقل عن تاريخ ابن الجوزي »^(٣٤).

و - عيون النوارخ لابن شاكر الكتي:

انتقل ابن شاكر إلى كتابة التاريخ انطلاقاً من عمله بتجارة الكتب، وقد جمع هذا التاريخ في نحو عشر من المجلدات^(٣٥). وهو مرتب على السنين: استهله بسيرة النبي، ثم الخلفاء.. ويُعدُّ تاريخه هذا، في ذات الوقت، كتاب تراجع، انتهى فيه إلى سنة ٧٦٠ هجرية^(٣٦)، ويبدو أنه قد نقل جزءاً كبيراً منه عن ابن كثير إذ يقول حاجي خليفة، إنه يتبع ابن كثير لا سيما « في الحوادث، وكثيراً ما ينقل منه صفحة كاملة، فأكثر، بحروفه »^(٣٧).

ز - البداية والنهاية لابن كثير:

يُعتبر ابن كثير خير من مثّل تلك المرحلة، إذ إن تاريخه هذا يبتدىء منذ الخليفة، معتمداً البعد عن الإسرائيليات، إلّا ما أذن الشارع في نقله، مما لا يخالف الكتاب الكريم والسنة النبوية، وقد أرّخ فيه للأمم القديمة والأنبياء، والرُّسل، وتاريخ ما قبل الإسلام. اعتمد الحولية فيه (حسب السنين) منذ الهجرة النبوية. مؤرخاً للسيرة النبوية في أربعة مجلدات^(٣٨)؛ ويظهر بعض ملامح الروح العلمية في الفصل القصير حين يتحدث عن الأنهار والبحار، حيث يتصل ذلك بإبن سينا وبطليموس^(٣٩)، ويقع الكتاب في أربعة عشر مجلداً، أخذ فيه عن المنتظم لابن الجوزي، مخالفاً التنظيم الأبجدي القائم في الكتاب^(٤٠). كذلك أخذ عن تاريخ أبي شامة، وتاريخ البرزالي، وقد ذيل عليه كل من أحمد بن حنّبل، وابن قاضي شهبة حتى سنة ٨١٥ هجرية^(٤١).

يقدم هذا الكتاب معلومات قيّمة عن عصره، خاصة في جزئه الأخير حيث نستطيع إلى حدّ ما متابعة الأحداث يوماً إثر يوم^(٤٢). وحيث يتعرّض بشكل مستمر لذكر نط الحياة عند الناس، كمثل: (إن فلان كان يتعاطى الحشيشة فقال فيها شعراً، أو أن فلان ثمل فوقع عن سور المدينة، أو أن أحد الروافض دخل الجامع وأخذ يشتم الخلفاء فحكم عليه بالإعدام). ولا يخلو الكتاب من التراجم في الوقت الذي لا يحافظ فيه على تقسيم واضح يفصل ما بين التاريخ العام وبين التراجم مما وجدناه عند استعراضنا للكتب السابقة.

وينبغي الإشارة إلى أن ما أتينا على ذكره من أسماء المؤرخين لا يطال كافة مؤرّخي عهد الناصر بشكل مطلق، مكتفين بهذا القدر، نظراً لكون هؤلاء الممثلين الفعليين للعصر. هذا من جهة. وأمّا من جهة أخرى فلضالة إنتاج ما تبقى من المؤرخين الذين سنتعرض لذكرهم في الجدول المذكور آنفاً.

٢ - كتب التراجم

إن الاعتقاد السائد عند المسلمين، بأن السياسة كانت بمجملها من عمل الأشخاص، وأنها لا تفهم إلا على ضوء صفاتهم وخبراتهم، دفع المؤرخين للاهتمام بتاريخ الأشخاص البارزين، وبدوين سيرهم ومنجزاتهم^(٤٣)، ممّا نشأ عنه ما سُمّي بعلم التراجم داخل علم التاريخ ومصاحباً له ينمو ويتطور مع نموه وتطوره. ولم ينفصل عنه إلّا مع بداية القرن السابع الهجري حين ألّم ياقوت الرومي (ت ٦٢٦ هـ) بستة قرون مرت على الأدب العربي في كتابه «إرشاد الأريب»، وحين صوّر لنا ابن القفطي المصري وابن أبي أصيبعة الدمشقي في معجميهما، كلّ ما أنفقه المسلمون الأوّلون من جهد في الطبّ والعلوم^(٤٤)؛ وقد تأكد هذا الانفصال نهائياً في الشام قبل نهاية القرن السابع الهجري على يد ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ/١٢٨٢ م). حين ألّف «وفيات الأعيان»، مشروطاً في كتابة تراجمه تأكيد سنة وفاة من ترجم لهم، ومبتدئاً ترجماته تلك، مع بداية الإسلام.

ومع بداية القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) أرسى هذا العلم خطوطه وقواعده العامة على يد الذهبي حين أخذ يبين في كتابه «تاريخ الإسلام» بشيء من الانتظام أسماء المواليد في كل سنة^(٤٥)، لتصبح له قوانينه العلمية الصارمة فيما بعد، على يد الصفدي في النصف الثاني من هذا القرن، بعد أن طغى على التاريخ العام بشكل بارز، بحيث عرف هذا العصر. بعصر التراجع.

وإن كنا قد استعرضنا فيما سبق تواريخ عامة لا تخلو من التراجع، فإننا سنستقصي الآن الكتب الخاصة بالتراجع والتي لا تحوي سواها. وأشهر من كتب في هذا الحقل: الذهبي، والبرزالي، والصفدي^(٤٦)، وابن شاكر الكتبي. وأما أهم الكتب التي أنتجت فهي:

أ - سير أعلام النبلاء للذهبي:

قصد الذهبي في كتابه هذا إلى التعريف بوجوه الناس، على اختلاف أفعالهم في كل العصور، مبتدئاً فيه بالنبي محمد (ص) ومنتهاً بالسلطان المنصور علي بن المعز أيبك التركماني (ت ٧٠٠ هـ)، مرتباً كتابه على الطبقات، جاعلاً كل طبقة في عشرين سنة، وفي الكتاب خمس وثلاثون طبقة جاءت في ثلاثة عشر مجلداً ضخماً^(٤٧)، ثم دُبل عليه للمتوفين بعد السبعماية، فصار بذلك أربعة عشر مجلداً. أخذ معظم مادته من كتابه «تاريخ الإسلام»، بعد أن أعمل فيها توسعاً أو اختصاراً كما فعل في مختصره: «العبر في خبر من غير» و«دول الإسلام». وقد أخذ رجال ذلك العصر على الذهبي أمرين أولهما: أنه كان لا يلتزم الحيدة عند الترجمة لمن يخالفه في العقيدة، أشار تلميذه السبكي إلى ذلك في «معيد النعم»^(٤٨)، وفي «الطبقات»^(٤٩)، وثانيهما: ما أشار إليه ابن الوردي حين ذكر بأنه تعجل فترجم للأحياء في عصره. معتمداً فيما كتبه عن هؤلاء على أحداث كانوا يترددون عليه^(٥٠).

ب - معجم شيوخه للبرزالي:

وهو تاريخ العلماء الذين أخذ عنهم. إذ أنه «سمع الكثير، أزيد من ألف شخص»^(٥١). ويحتوي هذا المعجم على جميع من سمع منهم بين سنة ٦٦٨ هجرية وسنة ٦٨٦ هجرية، مع ذكر ما سمع من الأجزاء والكتب وأقسامها مضافاً إلى تاريخ السماع أحياناً واسم القارئ حيناً آخر، ويذكر عدد مجالس السماع، وهو مرتب على الحروف الأبجدية، ويحتوي على أسماء الشيوخ^(٥٢).

ج - الوافي بالوفيات للصفدي:

يُعتبر الصفدي من أهم وأشهر من كتب التراجم في تلك الفترة، ليس بداعي ضخامة مؤلفاته التي تقارب عدداً الخمسمائة مجلد. ولعل الذي كتبه في الإنشاء ضعفاً ذلك^(٥٣)، وإنها انطلاقة من الشروط التي اعتمدها وحددها لنفسه منذ البداية^(٥٤)، ومن التبويب الهام الذي اتبعه في تصنيف مؤلفه الكبير. فإلى جانب تلك المقدمة

المؤلفة من فصول هامة، أورد ضمن عنوان كبير، جميع الكتب التي قرأها أو عرفها تحت عناوين خاصة لكل نوع من الكتب مع ذكر جميع من ذُيِّلَ عليها. استهل كتابه بالنبي محمد (ص)، واستتبعه بمن اسمه محمد تيمناً بالرسول (ص)، ثم عاد فساق التراجم حسب الأحرف الأبجدية، فأتى مصنفه في حوالي أربعة عشر ألف ترجمة، ضمَّها ثلاثين مجلداً مرتبة أحسن ترتيب، بحيث لم يترك أحداً من الصحابة أو الأعيان أو الوزراء، أو الولاة، أو كل من اشتهر، بعلم، أو شأن، أو مجال، من مجمل مجالات الحياة، في عصره، أو العصور التي سبقت، إلّا وذكره إيجازاً وتوسّعاً، بحسب المادة التي لديه، أو بقدر ما يليق به^(٥٥) بحيث أخذ عنه جميع مثقفي عصره والعصور اللاحقة وهو بذلك بمثابة مرجع أساسي لكل من أراد معرفة شخصية تاريخية بشيء من الاتزان. إلى جانب الوافي، كتب الصفدي كثيراً من الكتب، أتت جميعها، تراجم^(٥٦).

وانطلاقاً من اعتقاده بأن التاريخ على الحوادث، يُفقد العمل جديته ورصانته العلمية، حين يخضع لأهواء الحكام ورغباتهم، وذلك حين يغمز إلى هذا الشيء عن طريق استعمال الألفاظ ومدلولاتها وجودة العبارة إذ يقول: « هذه الشروط تلزم الذي يعمل تاريخاً على التراجم. أمّا من يعمل تاريخاً على الحوادث، فلا يُشترط فيه ذلك لأنه ناقل الوقائع التي يتفق حدوثها، فيشترط فيه أن يكون مثبتاً، عارفاً بمدلولات الألفاظ، حسن التصور، جيد العبارة»^(٥٧).

د - فوات الوفيات لابن شاکر:

هو ذيل على وفيات الأعيان لابن خلكان، يحتوي على ستاية ترجمة، مرتبة حسب الحروف الأبجدية، في أربعة أجزاء. ويبدو أن عمل ابن شاکر بنسخ الكتب والتجارة بها، قد جعله، نقالاً كبيراً، فأخذ أكثر تراجمه عن الوافي للصفدي، حيث تولى بعضها بالاختصار أو الزيادة الطفيفة، في المختارات الشعرية، دون أية زيادة بالمعلومات التاريخية^(٥٨). وتوضح تلك الحقيقة عند قراءة ما أورده من أسباب دعت له لكتابة هذا المصنّف والمتمثلة بالنقص الحاصل في كتاب ابن خلكان « وفيات الأعيان » إذ يقول: « غير أنه لم يذكر أحداً من الخلفاء، ورأيت أنه قد أخلّ بتراجم بعض فضلاء زمانه، وجماعة ممن تقدم على أوانه، ولم أعلم، أذ لك لذهول عنهم، أو لم يقع على ترجمة أحد منهم»^(٥٩)، والواقع أن ابن خلكان كان قد حدّد منذ البداية أنّه لن يأتي على ذكر إلّا من تأكّد من سنة وفاته. ولذلك سمّى كتابه « وفيات الأعيان » وصرّح بشكل واضح بأنه لن يأتي كذلك على ذكر الخلفاء^(٦٠).

٣ - الموسوعات التاريخية والجغرافية

وهي من أهم المصنفات التاريخية التي أنتجت في هذا القرن، وعرف في هذا المجال: ابن فضل الله

العمري^(٦١) وشيخ الربوة^(٦٢)، وأبو الفداء^(٦٣). أنتج الأول مصنفين فاقا في محتوياتها جُلَّ ما أنتج في هذا العصر، من المادة التاريخية، وهذان المصنفان هما: «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» و«التعريف بالمصطلح الشريف»، وأنتج الثاني «نخبة الدهر في عجائب البر والبحر»، وأمّا الثالث، فقد أنتج «تقوم البلدان». فما هي هذه المؤلفات؟ وكيف يمكننا تقييمها؟

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار للعمري:

يبدو أن أسباباً عديدة، قد اجتمعت لتحديد شخصية العمري العلمية، أولها: ذلك المنشأ الذي عرفه في بيته، حيث العلم والسياسة، وثانيها: تلك المجموعة الهامة من العلماء الذين أخذ عنهم. وثالثها: وظيفته في «أمانة سر» البلاط السلطاني، التي أمنت له معرفة واسعة في الدواوين الإدارية (بما تحتويه من التقارير، والمراسم، وأخبار الممالك، وأسرار الحكم السياسية) والتي مكّنته عنده ملكة البحث والاستقصاء، والجلد في التفتيش عن أبسط الأمور، ورابعها: مواصفاته العقلية التي يقول عنها الصفدي «رزقه الله أربعة أشياء، لم أرها اجتمعت في غيره وهي: الحافظة، قلماً طالع شيئاً إلّا وكان مُستحضراً لأكثره، والذاكرة، التي إذا أراد ذكرى شيء من زمن متقدم، كان ذلك حاضراً، كأنه إنما مرّ به بالأمس، والذكاء الذي تسلط به على ما أراد. وحسن القرينة في النظم والنثر»^(٦٤). هذه الشخصية خرقت كافة مقاييس مُثَقَّفِي عصره، فأنتج مصنفات كبيرة في بضعة وعشرين مجلداً، جعله على قسمين الأول في الأرض، والثاني في سكان الأرض^(٦٥)، وجعل كل قسم على أنواع، وكل نوع على أبواب، وكل باب على فصول^(٦٦). فأنتج مُصنّفه مرتباً أحسن ترتيب، ومنسقاً أكمل تنسيق، ووضع له مقدّمة هامة توضح الأسلوب الذي اتبعه في تأليف كتابه. وتُوعِد بتذييله بمصنفات أخرى، فلتنقضى خصائص هذا الأسلوب، ولنستعرض بعضاً مما ورد في هذا المصنّف القيم.

بعد البسملة المقتضبة، والتي تطبع كتابه منذ البداية بعلمية واضحة، يحدثنا عن حسنات التنقل والترحال وأثرها في تجديد النفس الإنسانية مستشهداً بعدد من الآيات القرآنية القصيرة لإثبات مقولته ويورد بعدها مباشرة، أسباب كتابة مُصنّفه هذا، ملخصاً إياها، لعدم وجود كتب جديدة ومعاصرة، وإنما «كتباً لا تتضمن سوى الأخبار القديمة»^(٦٧) و«المصطلحات التي ذهبت بذهاب أهلها»^(٦٨). وينقل بعدها ليعلمنا بما يؤدّ ذكره في الكتاب من «إثبات نبذة على المقصود في ذكر الأرض»^(٦٩)، إلى «حالة كل مملكة» التي يحددها أكثر «وما هي عليه، هي وأهلها، في وقتنا هذا، مما ضمه نطاق تلك المملكة. لأقرب إلى الافهام البعيدة، غالب ما هي عليه أم كل مملكة من المصطلح والمعاملات»^(٧٠). رغبة منه في أن تتعارف الأقطار وتستفيد من تجارب بعضها. ومؤكداً أنه لن يكتفي بالمعلومات الواردة في الكتاب، وإنما سيتم ذلك بالتصوير لتبيين الأقطار كأنها «قدّام عيونهم»^(٧١). ثم يُعَدّد مصادر ثلاثة أخذ عنها في كتابه. المصدر الأول: هو معرفته مما رآه بالمشاهدة، والمصدر

الثاني: هو « النقل عمن يعرف أحوال المملكة المنقول عنه أخبارها، مما رآه بعينه أو سمعه من الثقات باسمه »^(٧٢). ويحدد المنقول عنهم « ولم أنقل إلاً عن أعيان الثقات، من ذوي التدقيق في النظر، والتحقيق للرواية »^(٧٣)، ولا يكتفي بذلك، بل يتبع عمليات تحر واسعة، وتدقيقات هامة أوضحها في داخل كتابه « ونأخذ في هذا الباب على التحرير في أكثر ما عرفنا، والتحقيق لأكثر مما نعرف بتكرار السؤال واحداً بعد واحد، عمّا يعلمه من أحوال بلاده وما فيها وما اشتملت عليه في الغالب، نواحيها. وكنت أسأل الرجل عن بلاده ثم أسأل الآخر والآخر لأقف على الحق. فما اتفقت عليه أقوالهم أو تقاربت أثبتته. وما اختلفت فيه أقوالهم أو اضطربت تركته، ثم إنني أترك الرجل المسؤول مدة أناسيه فيها عما قال، ثم أعيد عليه السؤال، عن بعض ما كنت سألت. فبان ثبت على قوله الأول أثبت مقاله، وإن تزلزل أذهبت في الريح أقواله، كل هذا لأتروى في الرواية وأتوثق في التصحيح »^(٧٤).

والمصدر الثالث: هو الكتب الموثوقة، والتي لا بدّ منها بما تنقله من معلومات تراثية أساسية، لا يمكن الاستغناء عنها، كتقسيم الأرض، أو أقوال القدماء، أو اختلاف الحكماء، أو ذكر العجائب (الخ)، منبّهاً بأن ذلك ليس نتيجة حاجة للإكثار من المعلومات وتضخيم الكتاب، وإنما لحاجة أساسية يستدعيها التصنيف، وبعد تعداد هذه المصادر التي تمّ عن شخصية علمية فذة قلّ أن نجد لها عند غيره من المؤلفين (المؤرخين)، يوضح ما يعنيه بالممالك (يُورد أمثلة) أو ما سيأتي على ذكره منها ذاكراً العام ومتجنباً التفصيل. ثم يعزى عدم كتابته عن بلاد الكفار « لأن غالب ما يقال (والله أعلم) أسماء لا يعرف لها حقيقة ومجاهل لا توصل إليها طريق »^(٧٥). موضحاً أن النذر القليلة التي وردت عن تلك البلاد، إنما أنت لسبب يراه في: « على أنني ربما ذكرت في مكان ما قاريه من بلاد الكُفَّار، وذكرته للمجاورة، رجاء أن يؤخذ بشفقة الجوار »^(٧٦)، وهو يعدّ إن طال به العمر، وحافظ على نشاطه بأن يذيل هذا المصنّف بمالك الكُفَّار، وقبل أن ينهي مقدمته، بتعداد بعض ألقاب الناصر، يطلعننا على شيء من التعب والصبر وطول البال والأيام والليالي التي قضاها لإتمام هذا المصنّف وما صاحب ذلك من الانقطاع وعدم المبالاة بالأحسين للإسراع بإصداره، وكيفية تعامله معه وحرصه عليه. كما يحرص على طفله، خاصة وأنه قضى بجمعه السنين يُمحّص، ويدقّق، ويعيد صياغة ما كتبه من غير استيعاب ولا تطويل »^(٧٧).

أن العمري قد اتبع ولا شك أسلوب مقدمته خلال إنجازها كافة أقسام الكتاب، فلم يترك شاردة إلاً وأدخلها في مصنّفه، وفي حيزها الفعلي، مورداً جميع ما يحمله ذلك العصر من علوم في تقويم البلدان، والتاريخ والرجال والأدب والاجتماع والهندسة والسياسة والفلك والنقش والتصوير والبناء^(٧٨)، وخاصة في تلك الثروة الهائلة من المعلومات التي تتعلق بدواوين الإنشاء، من المكاتب الرسمية، والألقاب، وتقسيم الوظائف والرتب وأنظمتها

فيه ترتيب البلدان حسب ترتيب ابن حوقل صاحب كتاب «مسالك الممالك»^(٨٦). أما مصادر هذا الكتاب فقد أخذها عن ثلاثة: الأول: المشاهدة، والثاني: المصادر الجغرافية وكتب الزيجات وكتب النسبة التي ألّفت قبله، والثالث: المصادر الشفوية، حين كان يسأل التجار والمسافرين عمّا رأوه في البلدان التي زاروها^(٨٧). وأبو الفداء لا يعتبر المعلومات الواردة في كتابه هذا صحيحة بالكامل، وإنما هي بداية تسدّ فراغاً في وقت حاجة. وهو لا يدّعي الإحاطة بكافة البلدان، إذ إن ذلك أمر لا مطمح بالإحاطة به^(٨٨).

وقبل أن نختتم بحثنا هذا، نود أن نشير إلى مسألة هامة تلخص في أن أكثر نتاجات هذا العصر وغيرها من العصور على كافة أصعدة الثقافة تزودنا بالكثير من المعلومات التاريخية، ونستطيع من خلالها التعرف على بعض أنماط الحياة المعاصرة لتلك النتاجات، هذا من جهة، وأمّا من جهة أخرى فقد عُرِفَ في «هذا العصر» الكثير من الفقهاء والمحدثين والمفسرين الذين أنتجوا كتباً هامة في الفقه والحديث والتفسير الإسلامي، وهي جميعها تلقي أضواءً وكشوفات على كافة الصراعات التاريخية في الدولة الإسلامية منذ وفاة النبي محمد (ص)، وخاصة ما يتعلق منها بأحقية الخلافة، نذكر من هؤلاء ابن تيمية^(٨٩). وابن قيم الجوزية^(٩٠) اللذين ملأوا الخزائن الإسلامية بتلك الكتب القيّمة بما تحمله من مادة تاريخية.

الحواشي

- (١) ابن تيمية، ص ٥، تأليف محمد يوسف موسى.
- (٢) ابن تيمية، ص ٥، تأليف محمد يوسف موسى.
- (٣) تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٣٦٩ - كارل بروكلمان.
- (٤) الوافي بالوفيات - ج ٧ - ص ١٥ - الصفدي.
- (٥) معجم الشيوخ، ورقة ٩٤ ب - والقول مأخوذ من كتاب اعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب - ص - ١٢٣ للمنتجة.
- (٦) فتاوي ابن الصلاح ص ٣٤ - ٣٥ - نشر منبر الدمشقي - القاهرة - والنص مأخوذ من كتاب ابن تيمية ص ٥٠ - ٥١ - تأليف محمد يوسف موسى (نشر المؤسسة المصرية العامة).
- (٧) مجلة الفكر العربي، عدد ٢ - سنة ١٩٧٨، ص ١٨٥.
- مقال بعنوان الصورة التاريخية في أعمال المؤرخين العرب القدامى - بقلم غوستان ريفتر - ترجمة الدكتور رضوان السد.
- (٨) علم التاريخ عند المسلمين، ص ٢٠٦، فرائز روزنثال.
- (٩) نفس المرجع، ص ١٩٩، نفس المؤلف.
- (١٠) راجع الجدول رقم ٨.
- (١١) راجع الجدول رقم ٧.
- (١٢) راجع الجدول رقم ٥.
- (١٣) راجع الجدول رقم ٦.
- (١٤) راجع الدول رقم ٢.
- (١٥) راجع الجدول رقم ١١.
- (١٦) راجع الجدول رقم ١٤.
- (١٧) التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان، ص ١٨٣، عباس العزاوي.
- (١٨) اعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب، ص (١٢٦ - ١٣١)، صلاح الدين المنجد، والتعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان. صفحات: ١٨٣٠ - ١٨٧ عباس العزاوي.
- (١٩) تاريخ ابن عائد وتاريخ العنزي. والفلاس.
- (٢٠) اعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب، ص ١٢٩، صلاح الدين المنجد.
- (٢١) التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان، ص ١٧٩، عباس العزاوي.
- (٢٢) البداية والنهاية، ج ١٤ - ص ١٨٥، ابن كثير.
- (٢٣) التعريف بالمؤرخين، ص ١٨٠، العزاوي.
- (٢٤) الدور الكامنة، ج ٣ - ص ٢٣٨، ابن حجر العسقلاني.
- (٢٥) المؤرخون الدمشقيون، ص ١٠١، صلاح الدين المنجد.
- (٢٦) المختصر في أخبار البشر، ج ١ - ص ٣.
- (٢٧) مجلة المجتمع العلمي بدمشق، ج ١٩ - ص ٥٢٥، والكلام للبرزالي مأخوذ عن ترجمة وردت في الصفحات الأخيرة من تاريخ ابن الجزري.
- (٢٨) الدور الكامنة، ج ٣ - ص ٣٠١، ابن حجر العسقلاني.
- (٢٩) البداية والنهاية، ج ١٤ - ص ١٨٦، ابن كثير.
- (٣٠) مجلة المجتمع العلمي بدمشق، ج ١٩ - ص ٥٢٧.
- (٣١) نفس المصدر، ج ١٩ - ص ٥٢٨.

- (٣٢) نفس المصدر، ج ١٩ - ص ٥٢٩.
- (٣٣) الوافي بالوفيات، ج ٥ - ص ١٥٣. الصدي.
- (٣٤) هامش ذيل تذكرة الحفاظ، ص ٢٢، الحسيني الدمشقي.
- (٣٥) البداية والنهاية، ج ١٤ - ص ٣٠٣، ابن كثير.
- (٣٦) المؤرخون الدمشقيون، ص ١٠٦، صلاح الدين المنجد.
- (٣٧) فوات الوفيات، ج ١ - ص ٥ - من مقدمة محقق الكتاب الدكتور إحسان عباس.
- (٣٨) علم التاريخ عند العرب، ص ٢٤١، محمد عبدالغني حسن.
- (٣٩) علم التاريخ عند المسلمين، ص ١٥٤، فرانز روزنثال.
- (٤٠) علم التاريخ عند المسلمين، ص ٢٠٤، فرانز روزنثال.
- (٤١) مجلة المجتمع العلمي بدمشق، ج ١٨ - ص ٣٧٧.
- (٤٢) دمشق في عصر المماليك، ص ٢٠٦، نقولا زيادة.
- (٤٣) علم التاريخ عند المسلمين، ص ١٤٢، فرانز روزنثال.
- (٤٤) دائرة المعارف الإسلامية - تاريخ، ص ٥٠٤،^١ (جيب - Gibb).
- (٤٥) علم التاريخ عند المسلمين، ص ١٤٤، فرانز روزنثال.
- (٤٦) أنظر الجدول رقم ١٣.
- (٤٧) أعلام التاريخ والجغرافيا، ص ١٣٢، صلاح الدين المنجد.
- (٤٨) معبد النعم - ص ٧٤ و ٨٧، السبكي (من أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب، ص ١٢٢، لصلاح الدين المنجد).
- (٤٩) الطبقات، ج ٥ - ص ٨٧، السبكي من نفس المصدر، ص ١٢٢. لصلاح الدين المنجد).
- (٥٠) تاريخ ابن الوردي، ج ٣ - ص ٣٤٩، ابن الوردي (عن نفس المصدر ص ١٢٤ لصلاح الدين المنجد).
- (٥١) البداية والنهاية، ج ١٤ - ص ١٨٥، ابن كثير.
- (٥٢) المؤرخون الدمشقيون، ص ١٠٣، صلاح الدين المنجد.
- (٥٣) الدرر الكامنة، ج ٢ - ص ٨٨، ابن حجر.
- (٥٤) راجع "نصل العاصر (في أدب المؤرخ) من الوافي، ج ١ - ص ٤٦.
- (٥٥) مجلة المجتمع العلمي بدمشق - ج ٢٢، ص ٤٨٤، محمد كرد علي.
- (٥٦) راجع الجدول رقم ١٣.
- (٥٧) الوافي بالوفيات - ج ١، ص ٤٧. الصندي.
- (٥٨) فوات الوفيات - ج ١، ص ٥ ابن شاکر، مقدمة الكتاب د. إحسان عباس.
- (٥٩) فوات الوفيات - ج ١، ص ١٠، ابن شاکر.
- (٦٠) وفيات الأعيان - ج ١، ص ٢٠، ابن خلكان.
- (٦١) راجع الجدول رقم ٩.
- (٦٢) راجع الجدول رقم ٣.
- (٦٣) راجع الجدول رقم ٥.
- (٦٤) الوافي بالوفيات ج ٨، ص ٢٥٣. الصندي.
- (٦٥) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ج ١، ص ٦ العمري - تحقيق أحمد زكي باشا.
- (٦٦) نفس المصدر، ص ٧.
- (٦٧) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج ١، ص ٢، العمري.
- (٦٨) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج ١، ص ٢، العمري.

- (٦٩) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. ج ١. ص ٢. العمري.
- (٧٠) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. ج ١. ص ٢. العمري.
- (٧١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. ج ١. ص ٢. العمري.
- (٧٢) نفس المصدر، ونفس الصفحة.
- (٧٣) نفس المصدر، ونفس الصفحة.
- (٧٤) وصف أفريقيا والمغرب والأندلس في أواسط القرن الثامن للهجرة: مقتطف من «المسالك» نشر حسن حسني عبدالوهاب، ص أ وب.
- (٧٥) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. ج ١. ص ٤. العمري.
- (٧٦) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. ج ١. ص ٥. العمري.
- (٧٧) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. ج ١. ص ٤. العمري.
- (٧٨) مجلة المجمع العلمي بدمشق، ج ٢٢. ص ٤٨٩، محمد كرد علي.
- (٧٩) وصف أفريقيا والمغرب والأندلس، مقتطف من المسالك، ص أ، نشر حسن حسني عبدالوهاب.
- (٨٠) التعريف بالمصطلح الشريف، ص ٤. العمري.
- (٨١) الوافي بالوفيات، ج ٣ - ص ١٦٣، الصفدي.
- (٨٢) نفس المصدر، ج ٣ - ص ١٦٤، الصفدي.
- (٨٣) نفس المصدر، ج ٣ - ص ١٦٣، الصفدي.
- (٨٤) مجلة المجمع العلمي بدمشق، ج ٢٢ - ص ٤٩٥، محمد كرد علي (النص ورد دون تحديد مكانه في الكتاب).
- (٨٥) نفس المرجع، ص ٤٩٤.
- (٨٦) أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب، ص ٤٤، صلاح الدين المنجد.
- (٨٧) أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب، ص ٤١، صلاح الدين المنجد.
- (٨٨) أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب، ص ٤٨، صلاح الدين المنجد.
- (٨٩) راجع الجدول، رقم ٤.
- (٩٠) راجع الجدول، رقم ١٠.